الأضواء

أسبوعية سياسية جامعة

البحرين ـ الخليج العربي ـ العدد ٢١٨ ـ السنة الخامسة

الخميس ٦ نوفمبر ١٩٦٩م الموافق ٢٥ شعبان ١٣٨٩هـ

AL-ADHWAA' WEEKLY NEWSPAPER No. 218. 6-11-1969

شارع أبي هريرة
تليفون: ٥٤٤١
ص.ب: ٢٥٠

"آه يا بيه وين الرجال"

أضواء على الفكر والأدب

● رأي جديد في ديوان "أنين الصواري"

بقلم: قاسم حداد

الحلقة الأولى

يقول تولستوى: (ان التعاسة مدرسة ممتازة) · وفى رأيى ان شاعر « انين الصوارى » أحد الذين تعلموا جيدا من مدرسة التعاسة ·

يبدو لاول وهلة ان اغلب قصائد الديوان تتناول موضوعا واحدا من نواحى مختلفة ،ولكن هذا يجب ان لا يجعلنا نحكم على الديوان ولا على الشاعر التخصص فى هذا الموضوع لعدة أسباب فنية : اولا ، لان الحكم على الشاعر بأنه متخصص في معالجة موضوع معين يضعف من قوة استخدام ذلك الموضوع الذى سوف يتضح لنا فيما سيأتى بانه رمزيا قويا · وثانيا ، سوف يجعل هذا التخصص من الشاعر صانعا لنوع من البضاعة، من الصعب قبول غيرها من الشاعر نفسه ، وبالتالى فان كل المعاني العميقة التي يحملها الرمز لن تبدو واضحة على الشكل الذى جاءت عليه ·

ان الشاعر على عبد الله خليفة ، لا يكتب عن الغوص · ولو كان يفعل ذلك لرفضنا أشعاره ، لان تاريخ الغوص لا يهمنا من قريب او بعيد اذا كان مجرد تاريخ ، ان الشاعر يكتب عن واقع نعيشه اليوم ، واقع نعانيه كما يعانيه معنا آلاف من البشر · ولم يكن «الغوص» سوى قناع فني أحسن على خليفة استخدامه بذكاء · فكان الغوص من ادوات الشاعر الفنية التي يعرض بها حياة واقعية معاصرة · وكل الذين كتبوا عن هذه الاشعار تناولوا قصائد الغوص (فقط) ، على اعتبار أنها **تحكى تاريخ الغوص** باسلوب (رائع) وعرض (جميل) ·· الى آخره ·· وكان الناقد منهم يكون **جريئا** اذا أشار الى حياة الظلم التى **كان** يعانيها الآباء فى الزمن القديم ، وحين يؤكد أحدهم أن الغوص رمز لشيء آخر فانه حين يذهب فى التحليل ، نراه يبتعد عن ذلك **الشيء الآخر** الذى يرمز اليه الغوص ولا نكاد نلمح من ذلك الشيء سوى رمز جديد يضعه لنا الناقد بدوره ، وبالتالى فاننا نحتاج الى ناقد يحلل لنا الرمز الجديد فى تحليل ذلك الناقد ·

لست ناقدا بدورى ، ولكن لدى **وجهة** نظر فى ديوان « أنين الصوارى » أرجوا أن تكون جديدة ، وبعيدة عن التكرار · وارل ما أريد الاشارة اليه هو أن نظرتنا الى قصائد الغوص فى الديوان منفصلة عن القصائد الاخرى ، عملا ليس شيا فى حد ذاته ، وهذا العمل يعتبر خنقا لانفاس المعانى التى تمتد جذورها وفروعها فى القصائد جميعها · وكذلك فان اهمال القصائد العاطفية قد ينقص من صورة العمل الشعرى لاى شاعر مهما كان ، على اعتبار ان الناحية العاطفية لها وزنها وتاثيرها على تكوين الشاعر الفنى والانسانى ·

قبل أن نضع أقدامنا على أرض ما ، يجب أن نتأكد أنها أرض صلبة لكى لا نتعرض للانهيار المميت ·

ان النظرة العلمية للتاريخ تطورت بصورة جادة فى القرن الحالى من خلال التجارب الانسانية التاريخية الكبيرة ، ونحن ليس لنا الا ان نأخذ بالتطور الفكرى الذى طرأ على فهم الانسان لحركة التاريخ حتى يكون تحليلنا للتاريخ من خلال قصائد « أنين الصوارى » تحليلا علميا معتمدا على النظرة العلمية السليمة ·

ان الشاعر فى الديوان لا لا يحكى تاريخ الغوص كأحداث جامدة لا تتصل بواقعنا المعاش اليوم ، فالشاعر ليس مسجلا لاحداث جامدة · وتاريخ الغوص لن يكون ذا اهمية لدينا اذا نظرنا اليه مفصولا عن المراحل التاريخية المتلاحقة ، والتى تصل اخيرا الى هذه الايام ، ثم ان الشاعر — وهذا مهم — لا يهدف من كتابته هذه أن يحبب الينا الغوص ، ولكن بالعكس ، انه يريدنا أن **نحقد** عليه ، باعتبار أنه مرحلة سحقت الانسان الذى ننتمى اليه أصلا · ومن هنا يتضح أن على خليفة يعالج في قصائد الديوان قضايا حيوية معاصرة ذات أبعاد انسانية عميقة ، وفى رأيى انه استطاع الى أبعد الحدود استخدام موضوع الغوص فى قصائده الاولى ، كواقع قديم يرمز من خلاله الى الواقع الحديث ، والمرحلة التاريخية التى يمر بها الانسان المعاصر ، فالشاعر هنا لا يعبر عن المرحلة القديمة،ولا يتعرض لها بالنقد ، لان تلك المرحلة استنفذت أساليبها بكل سلبيتها وايجابيتها ، ولكل مرحلة أيضا اسلوبها فى التعبير عن آلامها وآمالها ، وكان الشعراء المجهولون من الشعب هم الذين يعبرون عن واقعهم بتلك المواويل المكثفة المعانى ، والتى تقطر حزنا وألما وقهرا ، ولكى نترك تلك المرحلة بأدواتها القديمة يجب أن نؤكد أن شعراء المواويل كانوا قادرين على التعبير الصادق ، ولعل هذا الموال يذكرنا ويؤكد لنا هذه الحقيقة :

«نيران غدر الدهر توقد بقلبى بحر
وعلى سلن سيوف الماضيات وبحر
الناس في ظلهم وربعى فى شمس وبحر
من حيث أهل الوفا ما عاد فيهم وصل
وانقص حبل الرجا منهم فلا له وصل
لو كان بالسيف ، كنت اقطع روس الاعادى وصل
لكننى فى جزيرة ودايرة على البحر · »

ويأتى شاعر « أنين الصوارى» ليستفيد من تلك التجارب ، ويعبر عن اليوم بقناع الامس ، انه الآن يصور الاحداث المعاصرة فى مواقف قديمة ·· فى اطار واقع قديم ، فيجسد الظلم والاستغلال البشع الذى يرهق حياة الغواص — الانسان فى مواقف مأساوية ففى قصيدة « أنين الصوارى » تصوير يكاد يكون مجسما لقوة الابعاد التعبيرية التى تتكون منها القصيدة ، اننا نرى أمامنا جسدا منهكا يعانى آلام العجز والاعياء الى درجة كبيرة ، وذلك بعد ان استنزفت قواه وطاقته تلك الطبقة المستغلة التى تتنكر له الآن ، بعد أن امتصت دماءه وسلبت حقوقه ··

« يا لعملاق طعين الكبرياء
بعض انسان على الشاطىء ملقي كالرفاة
عافه البحر وارديته قوانين الطغاة ·· »

تماما كما يحدث فى هذا العصر ، فالشركات المستغلة تتنكر لعمالها وتبعدهم عن العمل تحت ستار **«التطور التكنيكى»** الذى دخل على قوى الانتاج الآلية :

بعد أن عاش سنى العمر مصلوب الحياة
بين أفواه تنادى ،
ومناد : هات من دينك هات ··

هكذا كان الاستغلال فان الغواص يعيش طول سنوات عمره مرهقا بالديون ، وتصل درجة تسلط الطبقة المستغلة الى حد بيع ما يملكه الغواص (وماذا يملك ؟) وغالبا ما يباع بيته أو أدوات حياته المنزلية ، هذا غير الوسائل الشنيعة التى يلجأ اليها بعض التجار المتسلطين عن طريق الحياة الاجتماعية الخاصة :

يا لسوط فتلوه من عروقى
وجلود الاهل والصحب وأرزاق العبيد
محنتى رزقى وأرضى
وخسيس يمتطى بؤسى جوادا ليعرى زوجتي شرعا ، ويمضى
هاتكا تحت جبين الشمس عرضى
وأنا المطعون فى أعماق سجنى ···· (١)

المعنى هنا يأخذ بعدين — وهو كذلك دائما — البعد الاول هو الواقع المباشر الذى كان يحدث فى القديم ، حيث ترتكب الجرائم الاجتماعية تحت ستار « دين الغواص » **حيث يكون العرض فى ظروف خطرة جدا ···**

والبعد الثانى ، هو الرمز الذى يستمد قوته من واقعه فى الزمن الحديث · فأن يكون الرزق محنة بالنسبة **للغواص**،فهذا طبيعى، ولكن أن تكون الارض فهذا غير وارد آنذاك،ان الارض محنة **الانسان الحديث** · ثم تأتى الزوجة لتكون الواقع والرمز معا · فهى الزوجة التى يعريها ذلك الخسيس فى الاطار القديم، وهى الرمز اليوم للارض التى يسرقها خسيس من نوع آخر ، **ولكن بشراسة** أكثر · ولكن الانسان الآن يبدو أكثر عنفا من الامس ، انه يقاتل من أجل الارض التى تشكل محنته الاولى :

فيلقى الحتف مختارا
أمام الشمس بين الارض والموت ·· ·· (١)

وفى قصيدة«صدى الاشواق» نرى الزوجة تنتظر رجلها الذى يأتى من البحر ·· البحر الذى يعنى بالنسبة لها الموت ، لذلك يكون الاستقبال حارا بفرح ممزوج بالحقد على الذين يستغلون طيبة الانسان ، يبعدونه عن زوجته وأهله ، ليعيش حياة خطرة :

باصطبار ·· فى اعتلال
يفلقون الصدف الموحل فى عز الظهيرة
حسبما شاءت أميرة
فى أقاصى الارض ·· فى أغنى البلاد
فى قصور من ضلال
تتشهى فى دلال ،
درة حبلى ·· نضيرة ··

---

(١) قصيدة : الجرح الكبير ·

(١) قصيدة: من أوال الشط أحكي ·

←

العدد ٢١٩ ـ السنة الخامسة
الخميس ١٣ نوفمبر ١٩٦٩ ، الموافق ٤ رمضان ١٣٨٩هـ
AL-ADHWAA' WEEKLY NEWSPAPER, No. 219, 13-11-1969

الحلقة الثانية

هنا الزوجة حاقدة على تلك الاميرة المرفهة فى قصرها ، والتى لا تعرف من قسوة الحياة الاطرائف متناثرة لا تأخذها سوى مأخذ الاستهزاء والتسلية ، تلك **الاميرة** هى الرمز والواقع فى الوقت نفسه • الرمز للطبقة المستغلة التى تستفيد من جهد الانسان الفقير فى كل مكان وزمان ، والواقع على اعتبار أن ما يصيده الغواص من اللآلئ غالبا ما يأخذ طريقه الى القصور، حيث الاميرات اللواتى يحلو لهن التزين باللؤلؤ والمرجان، التزين بتعب الرجال وعرقهم ودمـاء قلوبهم •

اذن ان معضلة الغوص — كمرحلة تاريخية بارزة من حيث تضخم شكل التأخر المعيشى — هى معضلة الاستغلال ، استغلال جهد الانسان الذى يعمل بين فكى الموت (حسبما شاءت أميرة) التى هى الطبقة المستغلة• حسنا ، ان ذلك الاستغلال لم يذهب على مر الايام ، **والاميرة** ما زالت تستغل ، ولكن فى صورة جديدة ، فعندما ترك الانسان عمل الغوص ومارس الاعمال الاخرى التى جاءت مع التطور الصناعى ، حيث طور معه وسائل الانتاج (آليا) ، كان ذلك طبيعيا من ناحية مجارية تطور الحياة العملية التى تأخذ طابع المراحل الحضارية التى تتوالى بصورة ديناميكية • ومع حركة التاريخ وحركة الطبيعة تطورت الاشياء الاخرى • **تطور الاستغلال** ، واخذ شكلا جديدا، واسلوبا يتناسب وطبيعة المرحلة الحضارية المعاصرة ، اذن ، فان استغلال الانسان تطور مع التطور الصناعى ، فما زال الاستغلال القديم يرهق حياة الانسان بصورة متطورة حديثة• لقد كان الغوص [illegible] وسيلة من وسائل الانتاج التى كانت بدائية بالنسبة لوسائل الانتاج الحديثة ، وكانت الطبقة الغنية تعرف كيف تستغل جهد الانسان البسيط بخبث ، ولكن الآن نرى ان وسائل الانتاج القديمة تطورت بشكل ملحوظ وبالتالى تطورت الحياة الاقتصادية **الخاصة** وتنوعت طرق الكسب ، بحيث بدا للكثيرين أن الوضع الحالى (المتطور) بنظامه الاقتصادى الحديث **اكثر ايجابية** من النظام الاقتصادى الاستغلالى القديم • ذلك قد يبدو نسبيا — ولكن الحقيقة عكس ذلك تماما ، فان التطور الذى حدث هو فى أساليب الاستغلال ••• فى وسائل الانتاج الآلية ، لكن التطور لم يشمل الناحية الانسانية **العامة** ، فما زال الانسان يعانى الظلم الاقتصادى والاستغلال البدنى اللا انسانى، ما زالت هناك طبقة غنية جدا، وطبقة فقيرة جدا ، ان الذى تغير هو الشكل وليس المضمون•

ولكى يتضح هذا المعنى أكثر نرى فى قصيدة (الجرح الكبير) هذه الحقيقة :

جرت فى مصنع الفولاذ اوردتى
وعاش العالم الكسلان من سقمى
وعارى لم يزل لونى ••

ان شيئا لم يتغير ، ما زال الاستغلال بصورته البشعة • ان « **العالم الكسلان** » هنا هو **الاميرة** هناك ، انه الطبقة الغنية التى تملك وسائل الانتاج ، وتستغل قوى الانتاج (الانسان العامل) وهى جالسة على الحرير فى مكيفات الهواء ، التى تنتقل معها من السرير الى السيارة الى كل مكان ، فى الوقت الذى تصهر الشمس كواهل الفقراء الذين يموتون تحت وطأة التعب• لم يتغير سوى الشكل — شكل الاستغلال — لان التطور الصناعى انعكس تلقائيا على أساليب الاستغلال • ولعل ما جاء فى قصيدة (جرح فى ضمير الليل) لدليل قاطع على ان الانسان ما زال مقهورا •

العيد «يرزف» فى انتشاء الراقصين
وأخى الصغير بلا حذاء ••

قمة التناقض الطبقى (الرزيف) رقصة تقام فى ايام الاعياد كتقليد وميدان لاستعراض الجديد من الثياب ، هذا يعنى أن الذين يشتركون فى هذه الرقصة يرتدون الملابس الجديدة ، فى الوقت الذى نرى شقيق الشاعر — الانسان بلا حذاء • هل هناك اكثر الما من هذه الصورة ؟ نعم انه كون هذه الصورة واقعا فعلا ، **وباستمرار** • الامر الذى يعنى انه ما يزال هناك أناس يعيشون على حساب أناس آخرين ، أى انه هناك استغلال• والذى يثبت هذه الحقيقة :

أماه ، واقلبى الصغير
الليل يوغل فى الظلام ، ولا أرى
الاك فى جنح الظلام
جسما تكور قابعا
والنور يخبو فى السراج
عيناك تقفز بالخيوط على القماش
لتخيط للناس الجديد
ولنا الخنان ••

هذه الحقيقة التى يعيشها الشاعر — الانسان ، والذى يمثل جيلا معاصرا من البشر ، نرى والدته تعمل فى خياطة الملابس الجديدة **للآخرين** لكى توفر لابنائها الصغار الحياة الشريفة ، ولكن الذى يحدث أنها تشاهد طفلها الصغير بلا حذاء حتى فى يوم العيد، فى الوقت الذى يلبس فيه الآخرون كل ما هو جديد وثمين — انه النضال من اجل البقاء — •

قد يقال ان هذا أمر طبيعى ، لا بد أن يكون هناك اناس يعملون من أجل أناس آخرين ! هذا الجواب مرفوض من أساسه فهو غير مقنع ، لان الفارق كبير بين الذى يعمل وبين الذى يستغل، وذلك فى مستوى المعيشة ، اجتماعيا واقتصاديا • ونستطيع أن نقول أن إسلوب الاستغلال الحديث قد يبدو أكثر ذكاء من الإسلوب القديم، او هكذا يتصور البعض •

حين نرجع الى التاريخ فى وقت من الاوقات ، فانه يجب علينا ان لا نأخذ كل الاشياء بسلبيتها لكى نعتبر بها ، ولكن علينا أن نغربل قبل أن نأخذ وعلى ضوء فهمنا لرمزية واقع الغوص فى قصائد « انين الصوارى » للواقع المعاصر نحاسب هذا القول من قصيدة (على أبواب الرحلة الاولى) :

الزم الابحار يا ابن الكادحين
طائعا للكل تبابا ظريف
لا يمل الجرى من ركن الى ركن ••
خفيف
يعتنى فى لف تبغ الغائصين ••
وأحمل النار الى نارجيلة الربان،
حتى تستفيد
من عطاياه الصغيرة ••

ومن القول السديد ••

تبدو هنا بوضوح السلبية وصفة النفاق التى تتصف بها هذه النصائح التى يدفعها مجرب كبير السن الى شاب على أبواب رحلته الاولى ، الشاب هنا رمز الجيل الجديد وهذا ما يجعلنا نتأنى فى الحكم على صورة قبولنا لهذه النصائح •

ان القارىء المدقق يرى أن هذه النصائح السلبية جاءت فى سياق سيل من النصائح الايجابية والقوية، والتى تخلق فى الانسان فعالية مباشرة • قد يقول قائل

ان هذا واقع طبيعى فى حياة الغوص ، ولا بد أن يكون الجديد على هذا العمل متصفا بمثل هذه الصفات السلبية وهذا المنطق مرفوض ، لان نظرتنا للتاريخ يجب ان تكون نظرة علمية قائمة على التحليل الموضوعى للواقع المعاش، وليست نظرة عاطفية عشواء ، واذا كان شاعر « انين الصوارى » لم ينتبه لهذه النقطة فان هذا لا يعنى أنه يفرض علينا وعلى الجيل الجديد بالذات أن يتصف بهذه الصفات السلبية التى لا تمت الى المرحلة الحقيقية بصلة ، وبالتالى علينا نحن أن نحلل الواقع المعاش من خلال سيره التاريخى بالنظرة العلمية تلك، فى الفترة الزمنية • التاريخية التى كتبت عنها القصائد، حسبما يتناسب وخلق جيل قوى •

ولكى لا نقع فى تناقض شنيع ، لا بد لنا من رفض تلك النصيحة السلبية ، تلك النكتة التى جاءت فى موقف جاد وسقطت بين جدرانه ، ذلك :

ولكى يبقى العفاف
مطمئنا فى بيوت الفقراء ••
شهوة التغيير ••
(فادر أن اغير لغم الحضارة)

الشاعر أدونيس

فى قصيدة : هذا هو اسمى •

يقول غالى شكرى : (ان الفنان الحقيقى هو الذى يتمتع بشهوة التغيير ، ذلك لان هذه الميزة من ميزات الابداع والتجديد •)

وللظروف الانسانية السلبية التى يمر بها الانسان فى كل العالم ، كان هناك احساس سائد فى كل النفوس الانسانية بالقهر • وهذا تبلور فى أدب الشباب فى كل العالم — مع التطور الفكرى — وبرز على شكل ثورة على الوضع المتخلف للانسان ، وعلى حضارة الغرب المزيفة ، ولعل الاحساس بالقهر والظلم ليس غريبا على الانسان العربى عامة ، وبالتالى فمن الطبيعى أن يكون الادب العربى الحديث متميزا بشهوة التغيير•• هذا الادب الذى تسرى فى عروقه دماء ساخنة وجديدة لا بد له أن يتطلع دوما الى عصر يعيش الانسان فيه بمعنى الكلمة ، ولكن ما زال هذا مجرد تطلع ، وامل ، لاننا نرى الشاعر عبد الوهاب البياتى يقول فى أحدث قصائده :

(آه من عصر المماليك الجديد)•

وهنا تقفز أمامنا صرخة شاعر « أنين الصوارى » التى تقول :

(اذ متى أنصف ياليل الجوارى والعبيد •)

ان لقاء انسانيا كهذا يدل على شىء واحد ، هو أن الشاعر العربى يعانى قضية الانسان فى القرن العشرين •• الانسان الذى يحتاج الى واقع أفضل :

يا رفيقى ••
نحن نحتاج انصهارا وانفجارا••
وفجيعة ••(١)

(١) قصيدة : الفارس المغبون

العدد ٢٢٠ السنة الخامسة
الخميس ٢٠ نوفمبر ١٩٦٩م الموافق ١١ رمضان ١٣٨٩هـ
AL-ADHWAA' WEEKLY NEWSPA PER No. 220. 20-11-1969

بقلم : قاسم حداد

ان شاعرنا ايضا يرنو الى التغيير ، لايمانه بأن حقوق الانسان ما زالت مسروقة ، وشهوة التغيير تأخذ أساليب متفاوتة فى الديوان ، مباشرة احيانا ، وبالرمز احيانا اخرى ، فنجده يقول فى (زغب الطيور الجارحة) :

كفكف الدمع حبيبى
وامسح الحزن بافراح كبيرة
انت فى قلبى ، وفى عينى ،
وفى عمرى .. آمال خطيرة
انت زحف النور فى هذى الجزيرة
انت موج كاسح يلقى هديره
يا أسى لحن المواويل الكسيرة
يا مزيج الحقد باللوعة فى عدل الشقاء
يا منى عمرى اراك ..
فى الغد الآتى .. أراك
خطبا تقتاته نار الخلاص ..

ان الاب يرى فى ولده الغد المشرق ، والشاعر ـ الانسان يريد ان يقول شيئا ايضا ، **ان الجيل الجديد هو القادر على التغيير** ، والا ما هى تلك **الآمال الخطيرة** ؟ ليس اخطر من قضية التغيير . ولان واقع الانسان غير عادل لا بد من تغيير هذا الواقع تغييرا جذريا . ويأتى الشاعر مرة اخرى ليقول لنا فى قصيدة (الجرح الكبير) :

أنا جمع من الفقراء والبؤساء والمرضى
وتاريخ من التشتيت والكبت
أنا المغلول فى قيدى،وفى نفسى
على الاسفلت بين مسارب الخوف
أنا فى بسمة الثوار ، مجبول
بحب الارض والانسام والماء ..

هذه **أرضية صلبة** يرتكز عليها الشاعر ـ الانسان المقهور، ثم تأتى المرحلة الثانية :

احبائى ،
هلموا يا رفاق الجرح للاصرار والسير
هلموا يا رفاق الكدح للتبشير بالفجر ..

لعل الصورة تبدو اكثر وضوحا الآن ، انه ينادى **الفقراء**، على اعتبار أن الفقراء هم القادرين على التغيير ، لانهم المحرك الاساسى لحركة التاريخ والشاعر نفسه يؤكد هذه الحقيقة فى قصيدة (بذر الاراضى الواهبة):

الكادحون من الشعوب هم الحياة
والفجر آت ..
الفجر آت
يا اصدقائى الطيبين ،
هذا الذى قالته أصداء السنين ..

أى هذا ما أثبته التاريخ من تجارب الشعوب المسحوقة التى صنعت تاريخها بيدها ..

وبطبيعة الحال فان حياة الغواص ـ الانسان ، بما فيها من متناقضات عديدة لم تخل من محاولات تمر للحد من ذلك الظلم والاستغلال الذى يسلب انسانية الانسان ، فان الانسان الذى يعانى الكثير من الاستعباد والقسوة لا بد أن يصل فى وقت من الاوقات الى ذروة الالم الذى يؤدى الى الانفجار وهذا الانفجار تؤثر فيه كل الظروف التى يعيشها الانسان، من تخلف او تطور فى الوعى ، بالنسبة للفورات العاطفية الحادة التى عاشها الاجداد فى القديم ،فانها عبارة عن محاولات فاشلة لعدة ظروف وعوامل موضوعية ، فقد كانت محاولات التخلص من الظلم ، تأتى بظلم اكثر قساوة واكثر تحد .

اذن فان تلك **المحاولات** التاريخية لا بد ان تعطى الاجيال اللاحقة نوع من العلامات البارزة ، من حيث هى نتائج لها ظروفها الايجابية والسلبية . ومرة اخرى اشير الى اننا يجب أن لا ننظر للتاريخ كحوادث منفصلة وجامدة بل يجب أن ننظر اليه على أنه حركة متفاعلة متحركة ، كل مرحلة فيها ترتبط بالمرحلة الاخرى ، قبلا وبعدا .

وانطلاقا من هذه القاعدة نفسر الاحداث التاريخية وننظر الى تاريخنا من خلال قصائد (أنين الصوارى) ولعل قصيدة (جمر الخمود) علامة واضحة تساعدنا على ربط الاحداث موضوعيا . وفى رأيى أن هذه القصيدة تمثل مرحلة فكرية متقدمة لدى الشاعر ، وتعبر عن استيعابه لحركة التاريخ . **(وان كان هذا الاستيعاب عفويا فى وقت من الاوقات ، ولكن الحس الانسانى لدى الشاعر هو الذى يحدد قدرته على الاستيعاب .**) فنرى الشاعر يكتشف فى هذه القصيدة سلبية حياتنا الماضية .. الحياة التى كانت الحيرة تغلفها والذل النفسى يحبسها ، واللجوء الى الوسائل **التقليدية والاصلاحية** للوصول الى الحقوق :

فلكم بتنا على الباب حيارى
نستجير الباب ايفاء العهود
ولكم لكنا التحايا
ومضغناها سنين
وبكينا خيبة المسعى ، فصلينا
وضيعنا الجهود
كم تساقطنا على الدرب، وشلنا جرح موتانا ، وعشنا
فى ارتعاشات البرود

ثم ان الشاعر ـ وهذا حتمى من الناحية العلمية ـ يرفض ذلك الاسلوب السلبى من الحياة ، يرفض الاستجداء هذه المرة ، لانه يميت احساس الانسان بالجرح على الزمن ، ما دام هذا الانسان يضيع نفسه فى دهاليز الرجاء والقبول بالامر الواقع :

نفقد الوجه اذا جئنا لبابك
ويضيع الجرح فى اعقاب
نسيان اعذابك

ولكن الامر يختلف تماما الآن ، فالانسان الحقيقى اكتشف اخيرا ان هناك اسلوبا آخر اكثر فعالية للوصول الى الحقوق فتولدت لديه أرض صلبة للانطلاق الجديد ، فبعد ان خاض **تجربة انسانية قاسية ، وبعد ان طعن فى (فلذات كبده) انتفض انتفاضة المارد النائم ، وخلع معها ثوب الصمت الصامت :**

فلعناك قياما وسجود
وبدرنا الحقد والقهر جراحا فى القلوب
وانتظرنا موسما فيه الحصاد

انه الشىء الذى كنا نلوك له التحايا قبلا ، نلعنه الآن . كنا آنذاك ننتظر شيئا لا يأتى أبدا ، **لاننا لم نفعل سوى الانتظار** . اما الآن فالانتظار يختلف عن الانتظار القديم ، لقد بذرنا الحقد والقهر ، الامر الذى يهىء الظروف الموضوعية لكى يأتى ذلك الشىء الذى نحتاجه ، يخلقنا من جديد . الانتظار هنا اكثر فعالية من الانتظار هناك .

الم اقل ان هذه القصيدة هى **مرحلة فكرية متقدمة** . ان الشاعر يتطور تطورا متوازيا فى الداخل والخارج ، فنظرة الشاعر وتحليله للامور فى قصائده الاولى تختلف عن نظرته الاخيرة ، وذلك تبعا **للتطور الفكرى** الذى يمر به ، ومن نفس القصيدة تقفز العلامة الكبيرة فى هذا الموضوع ، انها ختام القصيدة :

واذا النجم الذى اغتيل على ظهر السفينة
يعتلى الآفاق حيا
ويذكرنا انتفاضات طعينة
فلنغنى نحن والنجم البعيد
لحن تسيار واصرار جديد ..

لقد بدا كل شىء واضح الآن ، لقد وصلنا الى الذروة مع الشاعر ، انه يشير الى التجارب التاريخية التى خاضها الغواص ـ الانسان ، من على ظهر السفينة ، يجب أن يكون ذلك عبرة لنا ، وان كانت (**انتفاضات طعينة**) لكنها انتفاضات على أية حال .

لنلتحم هنا الخطوات مع الايقال التاريخى العظيم ، وتبدأ المسيرة الجديدة ، ان الشاعر هنا يتنبأ بالمستقبل من خلال تجارب الماضى ، على اعتبار ان الظروف التى أدت فى ذلك الوقت الى تلك الانتفاضات ما زالت هى الظروف الموضوعية التى يعيشها الانسان العربى فى الوقت الحاضر ، **ولكن بشكل جديد .**

ويلتقى الشاعر بالانسان فى كل مكان فى قصيدة (الجرح الكبير) ، انها انسانية شمولية تتضح وتأخذ أبعادا جديدة ، وهى بالتالى امتداد للطريق الذى لا بد له أن يوصلنا (ما) الى النظرة الانسانية الغير محدودة .

يهدى الشاعر قصيدته (الى أمى .. الارض) والارض هنا لا تعنى الارض بمعناها المادى الجامد المحدود ، ولكن ببعدها المعنوى الانسانى الكبير ، والارض هنا ايضا تعنى العالم كله ، ففى هذه القصيدة نرى الشاعر يتجسد باحساسه ومعاناته فى كل الآلام التى تعانيها البشرية ، والمشاكل التى يعانى منها انسان هذا العصر فى كل مكان .

انا الانسان يا امى ،
انا الانسان فى شتى بقاع الارض ..
فى الاصرار فى الزحف
انا فى اليتم .. فى التشريد ..
فى التنكيل والعسف ..

ومن خلال القصيدة نرى الشاعر تارة انسان جائع فى الهند حيث ينادى كل آلهته التى يعبدها ، ولكن لا احد يجيب (؟) وتارة نراه يصارع الموت من اجل الحياة فى بيسان والاغوار ، حيث الحرب من اجل الارض ، ومرة اخرى يشيلنا الشاعر على كتف صليبه الى غابات الفيتنام حيث تدور الحرب (الخاصة) التى تقتل شعبا بريئا فى بيته تحت قناع (حماية الامن) ، وفى قلب امريكا يكون الشاعر ذلك الانسان الاسود الذى يعانى من حضارة الزيف التى تقوم على التمييز العنصرى اللا انسانى . نرى الشاعر ممزقا قلبه مع هذه الآلام القاسية ، انها الشمولية نفسها التى يتمتع بها الشاعر الانسانى الكبير (ناظم حكمت) الذى يقول فى احدى قصائده المترجمة عن التركية :